الرمزية الوطنية في شخصية الأمير عبد القادر
لهلالي سلوى ، المجلد الثاني عشر، العدد 2، ماي 2021،
ص ص 111-129

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الرمزية الوطنية في شخصية الأمير عبد القادر:قراءة في خطاب كاتب ياسين بفرنسا 1947 م

National symbolism in the personality of Emir Abdelkader: A study in the speech of the Kateb Yacine in France in 1947

سلوى لهلالي (*)

جامعة سطيف 2، الجزائر

lahlaliselwa@gmail.com

تاريخ الإيداع: **26**/2020/12 تاريخ القبول: 2021/04/19 تاريخ النشر: 2021/05/30

الملخص:

تتناول هذه المداخلة موضوعا مهما يتعلق برائد من رواد المقاومة الجزائرية ألا وهو الأمير عبد القادر، الذي يعتبر رمزا للجهاد الشعبي في المقاومة ضد الحملة الصليبية الفرنسية الإستعمارية ،التي لم تكتف بإسقاط النظام السياسي للدولة الجزائرية بل عمدت إلى تدمير حضاري شامل مسّ الأرض والشعب والثقافة بكل ما تحتويه من مقومات وعناصر . ولما كانت الظروف أقوى من صمود الأمير عبد القادر انتهى الأمر به إلى الاستسلام، وهو ما أدى إلى صياغة مغالطات كثيرة في حقه حاولت تشويه صورته ومواقفه الوطنية، وعليه فقد كان كاتب ياسين أحد الأقلام الأدبية التي دافعت عن شخصية الأمير عبد القادر ومواقفه الوطنية والأخلاقية ، ولم يمنعه سنه(17 سنة) من مواجهة الاستعمار وإلقاء محاضرة في فرنسا سنة 1947 ،للرد على التحريف والتزييف الذي اكتنف سيرة وجهاد الأمير عبد القادر.

لقد ركز كاتب ياسين على دحض أطروحة الفراغ الحضاري في الجزائر، وعظمة مشروع الأمة الموحدة الذي نظّر له الأمير عبد القادر ،كما دافع عن الكفاح الثوري له مبرزا أنه لم يكن صديقا لفرنسا، وأنهاها بنظرة سديدة حول الاستعمار ،و دوره في إدخال الجزائر في حلقة حضارية مفرغة مدافعا بذلك عن صورة الهوية الوطنية الجزائرية ممثلة في شخص الأمير عبد القادر.

الكلمات الدالة:

الأمير عبد القادر، الإسلام والعقيدة، القائد الوطني، الجهاد،التسامح.

(*) المؤلف المرسل: **لهلالي سلوى** lahlaliselwa@gmail.com

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

Abstract:

This intervention deals with an important topic related to one of the pioneers of the Algerian resistance, namely Emir Abdelkader, who is considered a symbol of the popular resistance against the French colonial Crusade, which not only brought down the political system of the Algerian state, but deliberately destroyed a comprehensive civilization that affected the land, the people and culture with all its elements of identity. Because the circumstances were stronger than his steadfastness, Prince Abdul Qadir ended up by surrendering. This led to the emergence of many fallacies trying to distort his attitudes and his nationalist positions.

Therefore, the Kateb Yacine was one of the literary writers that defended Emir Abdelkader and his nationalist and moral attitudes. His young age (17 years) did not prevent him from facing colonialism and giving a lecture in France in 1947, in order to respond to the distortion and falsification that wrapped up the biography and jihad of Emir Abdelkader.The writer Kateb Yacine focused on refuting the thesis of the civilizational vacuum in Algeria, and the greatness of the project for a unified nation that Emir Abdelkader had proclaimed. He also defended his revolutionary struggle, denying the fact that he was friend of France.He ended it with an insight on colonialism, and its role in leading Algeria into a A civilizational vicious circle and defending the Algerian national identity, represented in the person of Emir Abdelkader.

Key Words:
Emir AbdelKader, Islam and belief, national leader, jihad, tolerance-.

****

1. مقدمة:

يعتبر كاتب ياسين أحد الأقلام الأدبية و الوطنية التي واجهت تشويه الاستعمار الفرنسي للهوية الجزائرية ،وعبّر بصورة جمالية إبداعية ساحرة عن الأم الجزائر وهي تعاني الاجتثاث و التشويه التاريخي الهوياتي، حيث عاين منذ طفولته وحشية الاستعمار وذاق مرارة السجن اثر مشاركته في مظاهرات 08 ماي 1945 بسطيف وعمره لا يتجاوز 16 سنة .أظهر كاتب ياسين عروبة ووطنية خالصة عندما قدم محاضرة تاريخية حول الأمير عبد القادر بقاعة جمعيات النخبة العالمة في باريس قال فيها : "إن الكتابة عن الأمير عبد القادر هي تمزيق كفن الفضيحة"، وهو إشارة إلى التحريفات ،و التزييفات التي غلفت تاريخ الرجل الرمز و حاول في محاضرته إثبات وطنية وهوية الأمير عبد القادر، وأيديولوجيته في استقلال الجزائر قائلا :" إن الأمير عبد القادر قائد دولة عربية مسلمة".

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

إذن لا يمكن الحديث عن الأمير عبد القادر دون أن نشير إلى محاضرة كاتب ياسين، و التي استهدف من خلالها كسب المزيد من التأييد من طرف الفرنسيين، علما أنه لا أحد طلب منه ذلك ولم يكن ذو توجه سياسي معين ليتولى هذا الطرح ،صحيح أن المحاضرة كانت تذكيرا تاريخيا إلا أنه رد بقوة تاريخية على الأطروحات المشوهة لتاريخ الرجل ،ومن ثمة مقومات الهوية الجزائرية مركزا على مشروع الوحدة بالنسبة للأمة الجزائرية ،معتمدا على دعم كل الجزائريين للأمير في مواجهته للاستعمار الفرنسي خاصة ما تعلق بموقف زواوة و أكذوبة أنّ الأمير عبد القادر صديق لفرنسا .

2. صدمة الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1830م:

ربطت فرنسا العديد من العلاقات الودية مع الدولة العثمانية هذا ما جعلها تتمتع بعلاقة جيدة مع الجزائر، مما أدى إلى توقيع العديد من الاتفاقيات بموجبها نالت امتيازات تجارية، و اقتصادية في الموانئ الجزائرية، بالإضافة إلى تقديم الجزائر يد المساعدة أثناء الثورة الفرنسية، ومن هنا بدأت فكرة السيطرة على الجزائر تختمر في أذهان الملوك الفرنسيين الذين كانت لديهم رغبة في تأسيس إمبراطورية استعمارية مترامية الأطراف خاصة في شمال إفريقيا فكانوا يخططون من أجل احتلال الجزائر وبسط نفوذهم على أراضيها، من خلال مجموعة من المشاريع لتنفيذ ذلك ومن أهمها مشروع بوتان وهو جاسوس قام نابليون بإرساله للجزائر من أجل وضع خطط تساعد على احتلال الجزائر، وقام بإعداد تقرير لتحضير الترتيبات اللازمة، وتمكن من تقديم دراسة دقيقة عن وضع الداي و القوة العسكرية الدفاعية والتحصينية في الجزائر، ولتنفيذ هذا المشروع اتخذت فرنسا من حادثة المروحة ذريعة للقيام بفعلتها هذا ما أدى إلى إحداث قطيعة تامة بين الطرفين[1]. لكن من المعروف أنّ الدوافع الحقيقة للحملة الفرنسية التي أدت إلى تنفيذ المشروع الاستعماري هو الطمع في خزينة الجزائر، التي سمعوا بثرائها والتخلص من ديونهم التي أصبحت الجزائر تطالب بتسديدها[2]، لذلك سارعت فرنسا بفرض الحصار البحري على السواحل الجزائرية عام 1827م، وكان يهدف هذا الحصار إلى الضغط على الداي بالإضافة إلى الخروج بأقل الخسائر أثناء المواجهة، لتسرّع في مشروع الحملة على الجزائر فقامت ببعث أسطول بحري يتألف من 100 قطعة بحرية و500 سفينة تجارية، حيث انطلقت من ميناء طولون في 25ماي 1830م، ووصل إلى سيدي فرج في 19 جوان1830م، وقد كان هذا الأسطول بقيادة دي برمون[3].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

ومن جهة أخرى كانت الجزائر تحضّر لصد الحملة الفرنسية التي علمت بها، حيث كانت أولى التحضيرات إقامة تحصين بالقرب من سيدي فرج ابتدأها صهر الداي قائلا:" يجب بناء الحصون على شاطئ البحر وتزويده بالمدافع حتى نمنع نزول الفرنسيين" ، كما قدموا خطة أخرى مبنية على :"إجبار الجيش الفرنسي على التوجه إلى وادي مازفران ومنه يقع أحد الأمرين:إما أن يهجم الفرنسيون على مدينة الجزائر، أو أن يسيروا نحونا"[4]،لكن لم يقع ذلك الأمر فنزل الجيش الفرنسي بدون مقاومة تذكر في سيدي فرج، وبعدها حدثت اشتباكات متفرقة مع القوات الجزائرية، وقد تمكنت القوات الفرنسية من تحقيق الانتصار على الجزائريين ووصلوا إلى حصن الداي الذي يشرف على مدينة الجزائر، فوجد الداي نفسه مضطرا إلى إمضاء وثيقة الاستسلام في 04 جويلية 1830 وفي اليوم التالي تم فتح أبواب المدينة للجيش الفرنسي[5].وبعد سقوط الجزائر في يد المحتلين الفرنسيين كتبت العديد من الأبيات التي تبكيها كحال ما كتبه "عبد القادر المازوني" الذي عبر عن النزول الفرنسي لمدينة الجزائر في أبيات شعرية:

الفرنصيص حرك ليها لاهي ميات مركب لاهب متين
بسفاينه يفرنص في البحر قبالها كي جا من البحر بجنود قويّن
غاب الحساب وادرق واتلف حسابها الرّوم جاو للبهجة مشتدين
راني على الجزاير ياناس حزين
الكلب غير رقب للمرصى شافها شاف المدافع لوجه منصوبين
من جهة البحر قاع الناس تخافها برج الفنّار من كي مصعورين
برم سفاينه وتقدم قدّامها في سيدي فرج نزّل ذا اللعين[6].

3. صورة الأمير عبد القادر في عيون الفرنسيين:

كان احتلال مدينة وهران من أولويات الحملة الفرنسية وذلك لموقعها الاستراتيجي وقربها من فرنسا و التي كانت تحت قيادة "الباي حسن" ، لكن الحملة الأولى فشلت وكانت في عهد "دي برمون" بقيادة ابنه "أميدي"، و بعد انسحاب القوات الفرنسية من ميناء المرسى الكبير تولى الجنرال "كلوزيل" القيادة في 11 ديسمبر 1830،وتمكن من احتلال المرسى الكبير وحصن "سانت قريقوري" في 14 ديسمبر دون أية مقاومة، ثم قام باحتلال معظم الحصون المحيطة بالمدينة واستغل في 14جانفي1830م فرصة مغادرة قبائل المخزن لأسوار وهران نحو تلمسان ليحتل المدينة من دون أية ردة فعل لصد قواته ، وبهذا أعلن الباي حسن استسلامه للقائد

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الفرنسي وطلب منه الرحيل إلى الإسكندرية، ومن نتائج الاحتلال الفرنسي للمنطقة، هجرة معظم سكان مدينة وهران نحو تلمسان وضواحيها[7].وأدى هذا الانسحاب إلى انتشار الفوضى بكل إقليمها، حيث قامت القبائل المجاورة بالاستيلاء على ثروة وأملاك "الباي" وتلا ذلك انعدام الأمن الذي خلق فراغا سياسيا رهيبا[8]، مما أدى بسكان المنطقة بإعلان مقاومة شعبية ضد الفرنسيين لذلك أخذ شيوخ القبائل والزوايا من الأعيان والعلماء على عاتقهم تنظيم صفوف الجزائريين الذين عبروا عن رفضهم لهذا الاحتلال بكل الأشكال، وفي كل جهات أرض الجزائر وقد تميز هذا الرفض سواء بالمقاومة المسلحة أو بالمعارضة السلمية للوجود الفرنسي وقد تولى هذه المقاومة العديد من الرجال ظهروا في تلك الفترة[9].

كان من أبرزهم الأمير عبد القادر الذي استنجد به الجزائريون بعدما هرعوا إلى والده محي الدين من أجل مبايعته للتخلص من الاحتلال، لكنه اعتذر لهم لكبر سنه وبعدما ألح عليه السكان وافق على القيادة بشرط أن ينوب عنه ابنه عبد القادر قائلا:" إنكم جميعا تعرفون أنني رجل سلام مكرس نفسه لعبادة الله، وإن الحكم يقتضي استعمال القوة بغلظة وسفك للدماء، ولكن ما دمتم تصرون على أن أكون سلطانكم فإني أقبل ولكني أتنازل عن ذلك لصالح ابني عبد القادر"[10].ولقد اختير الأمير عبد القادر لأنه كان يعرف جيدا ما تحتاجه البلاد في ظل هذا الاستعمار كما أنه كان يحمل كل مظاهر الإنسانية فهو يعطي الجانب الجهادي الأولوية مع حسن التسيير و التدبير و الذي ظهر جليا في معركة خنق النطاح[11].لذلك كانت البيعة في 27 نوفمبر1832م،على أساس أن يقود الأمير عبد القادر المقاومة الشعبية ضد العدو فصرح قائلا:" قبلت بيعتهم وطاعتهم كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه مؤملا أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين ورفع النزاع والخصام من بينهم ومنع الأعمال المنافية للشريعة وحماية البلاد من العدو". فلم يرضى بتسمية نفسه باسم السلطان واكتفى باسم الأمير وبعد مبايعته شرع في تنظيم دولته فاتخذ مدينة معسكر عاصمة له وأسس حكومة مركزية، وشكل مجلس للشورى مكون من 11 عضو من العلماء و الأعيان و قام بتكوين جيش نظامي و اختار رؤساء الجند من ذوي الشجاعة والإيمان وهم من زعماء القبائل[12].

وقد تمت مبايعة الأمير عبد القادر الكثير من القبائل وسكان معسكر وغيرها وبعد انتهاء مراسيم البيعة بدأ الأمير في تشكيل نواة الدولة الجزائرية وهذه الدولة كانت تقوم على أساس البعد الدينية التي كان الأمير عبد القادر قد نشأ و تربى عليها، لذلك كان البعد الأخلاقي ممارسة وسلوكا هو الأساس في مقاومة الأمير خلال حروبه وجنوحه للسلم ،حيث يرى أحد الباحثين أن

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الأمير عبد القادر كان خادما لدولته وجندي مستعد للاستجابة لنداء الواجب الوطني في أي وقت كان[13]، لذلك فالأمير قد ربط دولته بكل ماله علاقة بالدين واسم الله حيث يقول القاعدة التي تعطي قواته انتظاما[14]،وهوما جعل الأمير عبد القادر خلفا صالحا لوالده محي الدين في حركة الجهاد و المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي[15].

كما رأى إسماعيل العربي أن الأمير عبد القادر كان هو المرجح لقيادة المقاومة لأنه يعتبر القدوة والنموذج الرائد في الجانب المعرفي و أنه كان محبا ووفيا للعلم وامتثاله للقرآن الكريم و سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ،لذلك كان يعمل على تعديل سلوكيات قومه وإقامة دولته على أساس مواقفه الإنسانية وأفكاره الوطنية حيث مزج بين الدين والسياسة هذا ما جعل محمد بيرم الخامس يصف شخصية الأمير عبد القادر على أنه :" الأمير سيدي عبد القادر بن محي الدين الحسيني وقام لله حق القيام وصحبته النصرة الإلهية في كثير من الوقائع إلى أن كان في بعضها خارق للعادة من الكرامات"[16].كما تحكمت مبادئ العقيدة والدين الإسلامي في صياغة أفكار الأمير عبد القادر الذي انتفض وقاد المقاومة ضد الفرنسيين من منطلق أن دينه لا يسمح له أن يترك المسلمين تحت الاحتلال المسيحي، وحتى في حربه ضد الفرنسيين يذكر ليون روش أنه سأل الأمير عبد القادر لماذا وقعت السلام مع الفرنسيين فرد عليه الأمير بأنه مرتبط بكلام الله الذي يقول في القرآن بأن السلم مع الكفار يعتبر عند المسلمين بمثابة الهدنة وتحضير للحرب[17].

كان الأمير شديد الإيمان بالله و شديد التعلق بتعاليم الدين الإسلامي التي تدعوا لاحترام الإنسان كإنسان، الشيء الذي ساهم في جعله يلقى مكانة مرموقة عند السكان ودعما معنويا كان له دور كبير في تأسيس دولته هذا ما جعل قيصر روسيا يمدح إنسانية الأمير عبد القادر قائلا:" نحن اسكندر جميع الروسيين إلى الأمير عبد القادر اقتضت رغبتنا أن نشهر التفاتتنا إليكم بشهامتكم، وعملكم بما اقتضته الإنسانية[18].وقد قام العديد من الشخصيات التي عايشت الأمير عبد القادر بتقديم وصف لشخصية هذا المجاهد الكبير ومن بين هذه الشخصيات نجد ليون روش الذي عاش مع الأمير عبد القادر لفترة من الزمن حيث قدم وصف عن صورة الأمير عبد القادر قائلا:" ... رأينا وسط معسكر خيمة عظيمة يقف ببابها دائما جمهور غفير إنها خيمة السلطان ...إلا أن يقوم بتقديم وصف دقيق عن شكل الأمير عبد القادر، رأيت عينيه الزرقاوين تحيط بهما أشفار طويلة سوداء لامعة تمنح النظر حدة ولطافة في أن واحد وقد لاحظ ما ترك مشهده من أثر في نفسي ..."ويستمر ليون في وصف الأمير إلا أن

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

قدم صورة عن بساطة عيش الأمير وكرامته قائلا:" كان من المقرر أن نواصل إقامتنا بمدينة تاقدمت بضعة أيام غير أن بريدا جاء ينبئ عبد القادر أن أمه لا لا فاطمة الزهراء قد أصيبت بمرض عضال فصمم على الرحيل لزيارة أمه التي كان يحبها حبا كبيرا،... فسار الأمير ومن معه حتى رأو في طريقهم بعض الأهالي الفقراء الذين يكادون يموتون من شدة البرد يقول ليون روش بأن :" الأمير عبد القادر قام بنزع أحد برانيسه وقدمه لأحد ألائك البؤساء[19].

كما اتصفت شخصية الأمير وتميزت عن غيرها من شخصيات عصره مما جعل العديد من الكتاب يهتمون به نجد منهم الكاتب يوهان كارل بيرنت الذي كتب كتاب بعنوان الأمير عبد القادر لكن عنوانه الأصلي هو بالألمانية" ثلاثة سنوات من حياة ألماني بين العرب"، ومما جاء في هذا الكتاب من وصف للأمير قائلا:" الأمير عبد القادر رجل شاب في حوالي الثلاثين من عمره، وهو قصير القامة، رشيق الجسم،أبيض اللون، يرتسم النبل و الحلم على ملامح وجهه وكانت عيناه ذوات لون أزرق، ولكنهما براقتان ولحيته سوداء منتظمة، وكان صوته عميقا وبه نعومة ورقة وكان يحمل وشما صغيرا فوق جبينه وخده الأيمن و يده اليمنى"[20].وقد وصف الكتاب الإنسانية التي كانت يتميز بها الأمير عبد القادر حيث كانت هذه النزعة الإنسانية تنعكس على فكر الأمير، فقد كانت إنسانيته تدعو إلى إعادة الكرامة إلى القيمة الإنسانية و للتحرر، كما كانت تدعو إلى ترجيح التفكير العقلاني وتأبى العنصرية ، فنظرة الأمير عبد القادر للإنسانية تعد نظرة العالم المتبصر حيث يستوي فيها كل الناس و لا توجد أية فوارق سواء دينية أو خلقية ودليل ذلك ما قاله الأمير:" لو أصغى إلي المسلمون والنصارى لرفعت الخلاف بينهم و لكنهم لا يصغون إلي".

في هذا الصدد نجد ما كتبه عنه يحي بوعزيز في كتابه " الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري" قائلا: الأمير عبد القادر ممن أودع الله فيهم صفة الإنسانية، وعلى هذه القاعدة صار في معاملته الاجتماعية لكل الناس غنيهم وفقيرهم، وكان حرصه على الوفاء بالعهد و الوقوف عند حدود الوعد أشد ما يكون في مواقفه الإنسانية الكبيرة طيلة حياته"[21].وقد تجلت إنسانية الأمير عبد القادر من خلال معاملته للأسرى و المسيحيين، فقد ذكر ألفرد بواسينو أن الأمير عبد القادر كان يستخدم في كلامه مصطلح المسيحين والكفار فهو يرى بأن الفرنسيين بالنسبة له ليسوا أناسا من جنس مختلف لكنهم أناس من دين مختلف جاؤوا ليحتلوا مكانا ليفرضوا أفكارهم ومعتقداتهم و الجهاد في نظره عقيدة وهي نفس أفكار أتباعه[22] ،لذلك كانت معاملته للأسرى متمثلت في سن مراسيم وطنية لبيان كيفية معاملة الأسرى، فدعا كل خلفائه من

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الآغوات و القادة و رؤساء القبائل وخطب فيهم عن حسن معاملة الأسرى قائلا:" ...فلقد تقرر أن كل عربي يحضر جنديا فرنسيا أو مسيحيا قيمتها ثمانية دولارات على الذكر و عشرة على الأنثى"، أي أن كل عربي بحوزته أسير وأحسن معاملته أخذ جائزته وإذا أساء إليه فقد الجائزة. لذلك كان الأمير حريص على تطبيق التعليمات من أجل معاملة الأسرى فنجد ذلك من خلال التفريق بين معاملة الرجل و المرأة فقد أعطى المرأة مكان أكثر من الرجل فمن يأتي بإمرة مكافئته أكثر وذلك من أجل الحفاظ على المرأة الأسيرة، كما قام الأمير عبد القادر بتحريم قتل الأسير المجرد من سلاحه وما ميز الأمير كذلك في معاملته للأسرى التواضع فقد ذكر أحد الأسرى هذه الصفة في الأمير عبد القادر قائلا:" ... عندما مررت بالسلطان حياني بجلال فريد، وابتسامة مدهشة و أشار إلي بيده للجلوس، ثم سألني رأيي في بناء تحصينات فأجبته بأنها تظهر لي جيدة ويبدو أنه سر كثيرا بجوابي" وهنا تبيان بأن الأمير عبد القادر يعامل الأسير كمعاملته لبقية الناس[23].

كما يورد لنا يحي بوعزيز قصة للأسرى الذين تم قتلهم في غياب الأمير عبد القادر ولما رجع وجدهم قد قتلوا حيث وصف الحادثة قائلا:" لقد أودع الأمير بعض الأسرى عند خليفته أبو حميدي المكلف بحماية الدائرة داخل الإقليم الغربي ثم اتجه إلى الصحراء وبلاد القبائل ، وأمر صهره بأن يهتم بشأن أولئك الأسرى وطلب من أبو حميدي اللحاق به فاعتبر ذلك بمثابة نزع الثقة منه لذلك بدأ يثير المشاكل فحرض بني عامر لكي يعودوا إلى وطنهم أو أن يلتحقوا بسلطان المغرب الشيء الذي أثار غضب صهر الأمير الحاج مصطفى ففكر في قتل الأسرى الفرنسيين لكي يوقف تلك القبائل، فتم قتل 287 شخص وبقي حوالي 11 ضابطا، ولما عاد الأمير من جرجرة وسمع بذلك الخبر حزن كثيرا وتألم لما حدث للأسرى الفرنسيين وكتب الأمير عبد القادر رسالة يشرح فيها ما حدث فلم يتلقى أية إجابة لذلك أسرع في إطلاق سراح من بقي"[24].بالإضافة لهذه المعاملة الحسنة للأسرى الفرنسيين والمسيحيين نجد استمرارية لإنسانية الأمير عبد القادر في المعاملة حيث نجد ذلك من خلال الرسالة التي تلقاها الأمير من أسقف الجزائر يطلب منه تحرير أسير فرنسي لكن الأمير أجابه :" كان يجب عليك كخادم لله وصديق للعباد أن تطلب مني تحرير كل المسيحيين الأسرى و ليس أسيرا واحدا فقط"، وقد نتج عن هذه الرسالة تبادل بين الطرفين للأسرى وتحريرهم بين الجيشين وكان ذلك في سيدي خليفة[25].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

كما نجد حسن المعاملة للناس من خلال المعاملة التي عامل بها الأمير عبد القادر ليون روش لما انظم إليه حيث حرص الأمير على تعليم روش أمور دينه، فعكف هذا الأخير على دراسة اللغة العربية والتعمق فيها وسجل معلومات كثيرة حول كيفية جلب الضرائب بمختلف أنواعها و كيفية توزيعها على القبائل، وكان الأمير يأخذه معهم أينما ذهب وينفق عليه من مال المسلمين بهدف تنويره بتعاليم الشريعة الإسلامية[26] ،حتى أن المؤرخ أرون قال بأن الأمير يعد رجل قرآن أكثر منه رجل حرب، فالمسيحية عنده وفي نظره هي اللاوفاء في حين أن القرآن يعطي كل الحقوق[27].وقد استمرت إنسانية الأمير عبد القادر وذلك من خلال رواية العقيد الفرنسي فاري قائلا بأن:" أحد الجنود الفرنسيين قد أصاب الأمير بثلاث جروح قبل أن يصاب هو بدوره بجراح بالغة الخطورة، وقد قام الأمير بإعطاء خيمته لهذا الجندي الجريح وكذلك سريره الخاص وعالجه لعدة أيام إلى أن وافته المنية"[28]، بالإضافة لذلك كان الأمير عبد القادر ونظرا لتسامحه وثقافته جعلته يتسامح مع الأسرى والفارين و يرفض ويمنع منعا باتا تشغيل الأسرى يوم الأحد[29].

واستمرت المواقف التي تبين إنسانية الأمير عبد القادر وعدم تعصبه وحقده، ومن بين هذه المواقف نجد عندما ثارت الإضرابات بمدينة دمشق والتي كان الأمير بها عام 1860، حيث مورست كل الأساليب الوحشية من طرف المسيحيين والفرنسيين لمحاربة المقاومة الجزائرية ، ورغم الاضطهاد الذي عانى منه الشعب الجزائري أثناء الحملات الفرنسية من أحل احتلال الجزائر إلا أن الأمير عبد القادر خاطر بنفسه ودخل في غمار هذه الإضرابات لإنقاذ الآلاف من المسيحيين[30].كما توجد الكثير من الشهادات الأخرى عن الخصال التي كان يمتاز بها الأمير عبد القادر و الشجاعة و البساطة و الصبر على الشدائد منها شهادة نوال مانوشي الذي قال عن الأمير:" إن الأمير تمكن من تأسيس مدن، وخلق نظام حكومي جديد ووضع تشريع، وتوحيد شعب كانت صفوفه مشتتة من قبل كل هذا وهو متحمل لأعباء الحرب ومشاقها... إلا أن يقول" .ورغم تلك المحن والشدائد لم تتغير أخلاق هذا الرجل الهمام ذي شخصية الجذابة"[31].

4. نظرة كاتب ياسين التاريخية و الوطنية لشخصية الأمير عبد القادر:

1.4 وحدة الأمة:

لعبت المرجعية الاجتماعية والثقافية دورا كبيرا في إرساء مشروع المقاومة القادرية، وتحويل الأنظمة الاجتماعية إلى هيكل وطني يستمد أصوله من النزعة الدينية ،ذلك من خلال تقسيم رقعته الجغرافية بنظام الخلافة ،واعتماد الشورى وتتدرج من المقاطعة إلى الأغا ليك

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

إلى القبائل إلى الجماعات القبلية المحلية ،مع شيوعها وهي عملية إشراك وتوحيد كل القوى الاجتماعية لإدماجها في مشروع المقاومة الموحدة عسكريا ،و حتى سياسيا و تجد الإشارة إلى كاريزمية السلطة لدى الأمير عبد القادر ضد الوجود الاستعماري تقوم على شخصيته وليس على الجهاز المقام فقط[32].

إن الوحدة كمشروع مقاومة عند الأمير عبد القادر يتصوره في جمع المجموعات المتباعدة، وقد ارتبط نجاحه على مدى قدراته الشخصية حيث جاء في إحدى خطاباته: " إن الحاج عبد القادر بن محي الدين لا يهم أن تعرفوا اسمي فانا لا ابتغي العظمة و العرش ولا ابتغي أي خطوة إن مرادي هو أن تأتمروا كإخوة ،سندخل الجزائر ونطرد الاستعمار "[33]ومن جهة أخرى أدرك صانعو القرار إن استرجاع المشروع التوحيدي للأمير هو عملية ربط القبائل ،و بناءا عليه فلقد قررت فرنسا وضع القبائل في وضع لا يطاق حتى تتخلى عنه ، فكان قد اصطدم بصمود أكابر القبائل، و بامتناعها من الخروج عن عزلتها وكذا الحال بالنسبة للقرى القبائلية التي رفضت الخضوع للدولة فكانت النتيجة خيانة أصحاب الخيم الكبرى ،و هروب القبائل و استسلام المدن هذا ما جعله يستسلم في 23 ديسمبر 1847 فانهارت مقاومته[34].

ومن خلال هذا كان كاتب ياسين يؤمن بوجود أمة جزائرية عربية إسلامية، حيث قال:" إن ما من شخص صادق وواع ينكر البداهة المتمثلة في أن الجزائر بعد أن انتصرت على كل محاولات الاحتلال منذ الفينيقيين مرورا بالرومان قد اندمجت من تلقاء ذاتها للقومية العربية الإسلامية "، و أن الجزائر تشبه مصر فهي أمة إفريقية مسلمة وعربية بصورة لا رجعة فيها[35].

و يؤكد كاتب ياسين على مقومات هذه الوحدة بكونها ترتبط بأمة افريقية، وجدت طريقها ومعنى وجودها في إطار وحدة أخلاقية إسلامية، فليس هناك ما يمكن أن يميزها عن مصر فهي الأخرى أمة إفريقية مسلمة ،وعربية بصورة لا رجع فيها [36]يجمعها الدين الإسلامي و الذي يشكل قوة رهيبة حتى في أشد ظروفه ومكن الجزائر من الحفاظ على الهوية ضد سرايا الاستعمار الفرنسي وحملاته الصليبية .

2.4 الأمير عبد القادر ليس صديقا لفرنسا :

ولد الأمير عبد القادر بمدينة معسكر تلقى تعليمه الأولي على يد والده الشيخ محي الدين فعلمه القراءة ،و الكتابة و حفظ القران الكريم، و عندما بلغ عبد القادر الخامسة عشر من عمره بعثه والده إلى وهران ليتتلمذ على يد سيدي بن خوجة بصحبة أبناء العائلات القوية، ومكث الأمير عاما واحدا في وهران ثم عاد إلى معسكر[37] .

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

بعد عودته بفترة قليلة أوفده أبوه لدى سيدي علي بوطالب شيخ قبيلة المغاربة لحل مسألة كانت متعلقة بين القبيلتين فكان ذلك فرصة نشأت فيها علاقة عاطفية بينه ،وبين ابنة شيخ القبيلة خيرة التقيا فيها خلسة عدة مرات و انتهت هذه العلاقة بعقد القران لتصبح زوجته.[38]

قرر بعدها الحاج محي الدين أن يقوم بمعية ابنه بالسفر التقليدي إلى الحج، و لما علمت قبيلة بني هاشم بالمشروع أسرع شيوخها إلى حماية قائدهم، وكان أن تشكل جيش صغير بقيادة عبد القادر ،ولما علم داي وهران بذلك أمر بإلقاء القبض على الحاج محي الدين، وابنه خوفا من أن يتحول الموكب إلى حركة ثورية فأصبحت حياة الرجلين رهينة إدارة الداي ،فتوجه عبد القادر إلى الداي قائلا : "نحن لا ننوي القيام بثورة وأن موكبنا لقادر أن يهوي المسافة التي تفصلنا عن مكة رغم ما ينتظر من مخاطر فأمدونا بسفن ،و سنبحر على مرأى منكم أما إذا ألقيتم بنا في السجن فلن نكون مسؤولين عما سيحدث . فكر الداي وتداول في الأمر بعض الوقت ثم أطلق سراح سجينه ،نلمس في هذا الموقف معرفة عبد القادر كيفية الرد على المستبدين وبعد إطلاق سراحهما قصد الحاج محي الدين ووالده المشرق حيث أقاما هناك عدة سنين كانت لهما أهمية كبيرة بالنسبة لحياة عبد القادر.[39] وبعد عودته إلى معسكر من المشرق وجد الأوضاع لم تتغير قط فانصرف إلى التفكير و الدراسة مدة ثلاث سنوات حيث تبلورت أفكاره مشاريعه بصورة جعلته يعتزم في نهاية المشروع في التنفيذ [40].

و بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 وتفكك سلطة الأتراك في الجزائر، ولما كان داي وهران واعيا بهذه الوضعية قرر الاستعانة بمحي الدين الذي رفض ذلك بنصيحة من والده، ولما يئس الداي من الوضع بسبب عزلته غادر مقاطعته دون اكتراث ما استدعى تنظيم الدفاع عن القطاع الوهراني ،وقد حدثت مناوشات بين العرب و الفرنسيين استطاع محي الدين بعدها أن يجمع شمل القبائل ،ويعلن الجهاد وقد وفد على محي الدين رسل من أنحاء القطر يطلبون منه قبول لقب "سلطان العرب" غير انه تنازل على هذا اللقب لصالح أصغر أولاده سنا، وأكبرهم اقتناعا بخطورة مهمته وهو عبد القادر[41].

و أصبح عبد القادر بعد مرور أربعة وعشرين سنة من عمره قائدا للدولة محتلا نصفها وكان أول انشغال الأمير في تأسيس سلطته الشروع في تجنيد مساعدين أكفاء ليوزعهم على مختلف أرجاء القطر حتى يتم التنسيق بين إدارة الأراضي و السكان وفقا لمتطلبات الحرب، إلا أن هذا المشروع لاقى صعوبات جمة تسبب فيها المحتل بفضل عملائه، ومن جملة الصعوبات

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

التي لاقاها عبد القادر في عمله تسبب فيها خاصة الجنرال تريزيل ،الذي استطاع بمساعدة الخائن مصطفى بن إسماعيل أن يثير ضده قبيلتين لهما نفوذ كبير "دواوير" و "سمالة" إلا أن هذه المناورات بلغت علم عبد القادر بفضل مخابراته ،التي سرعان ما اثبتت تفوقها فهرع على رأس بني عامر للبحث عن مصطفى بن إسماعيل الذي نجى بأعجوبة عندما سافر إلى تلمسان حيث لم يعثر له على خبر منذ ذلك اليوم [42].

كما كان هناك في منطقة الشلف السفلى شيخ سنشق استسلم للأمير عبد القادر بعد أن مني بعدة هزائم كما سقط بين يدي الأمير شيخ الغماري الذي حكمت عليه محكمة تتألف من العلماء بتهمة الخيانة . و بعدما تم تصفية الوضع بعث عبد القادر برسالة شديدة اللهجة إلى تريزيل يتهمه فيها بخرق معاهدة ديمشال باستمرار، هذه المعاهدة التي نصت على أن ليس لفرنسا نية في توسيع احتلالها إلى ما بعد مدينة الجزائر ،كما اعترفت بعبد القادر كأمير جزائري تخضع له كل المناطق غير المحتلة . كما رد تيريزال بان اتجه للقائه بصحبة 2500 رجل و 6 مدافع ،وفي يوم 26 جوان 1935 التقت طليعة جيشه بغابة مولاي إسماعيل بجنود لأمير عبد القادر، و ذلك في معركة سيق التي أصيب فيها تيريزال واصابة مئة و خمسين من جنوده إلا أن هذا الأخير تدارك الوضع وواصل زحفه بسبب قلة عدد جنود الأمير ،و بعد يومين بلغ الجنرال الفرنسي منعطفات المقطع حيث كان ينتظره عبد القادر و في هذه المرة مني بهزيمة نكراء إذ أن أكثر من نصف جيشه هلك أو لاذ بالفرار رغم مبادرته في الهجوم لكنه أخطأ في حساباته[43] .

وبعد واقعة المقطع حل الماريشال كلوزال محل تيريزيل ليثأر له ،و ليعيد السمعة والقوة للجيش الفرنسي إذ بلغ عدد جنوده 11 ألف جندي، و حتى الدوق دارليون نفسه التحق به لقيادة الجند لإنجاز المهمة مهمة بلوغ مدينة معسكر ،التي كانت تعتبر عاصمة الأمير عبد القادر بغرض تنصيب داي فرنسي أو يخضع للإدارة الفرنسية .

و استطاع الجيش الفرنسي أن يستولي بسهولة على معسكر، و عندئذ حدث أمر غريب وهو أن الدوق دارليون أصيب بمرض بقي طي الكتمان ،اتخذه الجيش الفرنسي ذريعة لمغادرة معسكر و مرافقة الدوق في اتجاه وهران ليستعيد الأمير عبد القادر المدينة في حين تمرد عليه الكراغلة ،وبينما كان الأمير عائدا إلى معسكر هرع الماريشال كلوزال لإغاثة المحاصرين اللذين مكث بهم كافيناك على رأس الحامية الفرنسية، و قام كلوزال بإصدار قانون يقضي بجباية على كل القبائل الواقعة تحت إدارة كافيناك ،وهذا جزاء الكراغلة على خيانتهم للأمير.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

ومن هنا فإن العلاقة التي كانت بين الأمير عبد القادر وجماعة الكراغلة خاصة بعد مبايعة الأمير للجهاد من قبل القبائل للتصدي لتنظيم المقاومة وإرساء دعائم دولة إسلامية تقوم على مبادئ الشريعة الإسلامية و ترتكز على سكان الأرياف ،وقد حاول معاملة الكل بالمثل دون النظر للامتيازات التي كان يتمتع بها البعض خاصة الكراغلة الذين كانوا يرون في أنفسهم هم الحكام والأقرب من الحكم هذا ما جعلهم يتخذون موقف عدائي من جهة الأمير عبد القادر، لذلك كانوا يعملون جاهدين للتخلص من سلطة الأمير في غرب الجزائر فقاموا بالاتصال بالفرنسيين و محاولة عقد صلات ودّية معهم فقامت فرنسا بتعيين القائد بيروم حاكما عليم، الشيء الذي جعل الأمير يقوم بإخضاعهم والقيام بمعاقبتهم مما جعل الكثير منهم يغادر المنطقة خاصة من مليانة ومعسكر.كما نجد الكثير من الكراغلة في منطقة تلمسان ووادي الزيتون بقوا يحملون الحقد للأمير فربطوا علاقات مع فرنسا لكن الأمير استطاع إخضاعهم وإبعاد السلطات الفرنسية عنهم، إلا أنه لم يتمكن من السيطرة عليهم كليا وإدخالهم لدولته الجديدة بل تمكن عدد منهم من التخلص من سلطة الأمير لأنهم وجدوا سياسة التوسع الفرنسي في الجزائر فرصة لهم، وإعلان العصيان على الأمير[44].

لقد كانت الضربة التي تعرض لها الأمير عبد القادر في كل من معسكر ،و تلمسان جد قاسية و كانت هي المرة الأولى التي ينهزم فيها الأمير، لكن الأمير لم يكن ذلك الرجل الذي ينسحب لأول هزيمة فأعاد تجميع قواته، و استعاد جزءا من مدينة المدية التي اعتبرها قلعة أكثر من حصن من معسكر ،وفي الوقت الذي توقف فيه الجيش الفرنسي عن القتال لفترة قصيرة أخذ الأمير في تحسين جيوشه معتمدا على مساعدين أكفاء إلى درجة أنه بعد سنة استطاع أن يوقف دارلنج المساعد المباشر لبيجو، و كان ذلك بناحية التافنة حيث أحرز انتصارا باهرا أدى إلى القضاء على 500 جندي فرنسي[45].

وقع بيجو مع الأمير عبد القادر معاهدة التافنة في 30 ماي 1837 و اعترف بيجو بنفوذ الأمير عبد القادر في أغلب المدن الغربية و الجزائرية ماعدا المدن الساحلية التي كانت خاضعة للقوات الفرنسية، بالإضافة لسهول متيجة ومدينة البليدة، كما نصت على تخلي القوات الفرنسية على مدينة تلمسان وقلعة المشور الواقعة في وسطها و الانسحاب من ميناء رشقون، وقد قبل الأمير عبد القادر بهذه المعاهدة من أجل كسب بعض الوقت ويستعد لتجديد الجهاد وإخضاع خصومه[46].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

كما قام الأمير عبد القادر برحلة جد مهمة إلى منطقة القبائل حيث لقي مودة لدى سكان الجبال و الفلاحين من القبائل، كما أقام علاقات مع البلديين المهاجرين تونس والمغرب في الوقت الذي كان فيه الكثير من العلماء الأوربيين يرون في الأمير أميرا ينعم بصحبة الجواري[47].

غير أنّ معاهدة التافنة لم تحترم من طرف الفرنسيين الذين كانوا يستعملون المحتالين في تشويه سمعة الأمير و كان قادة العدو يغتنمون أول فرصة للقيام باعتداءات مثل حملة أبواب الحديد التي أرادها المارشال فالي خرقا صريحا لبنود معاهدة التافنة ،و قد استطاع بصعوبة احتلال مليانة ثم المدية حيث تم إيقافه، و عندما نصب بيجو حاكما استعمل ضد الأمير طوابيره المتحركة الشهيرة ،وألحق به أضرارا عديدة وقد بدأت بعد ذلك قلاع الأمير تسقط الواحدة تلو الأخرى لكنه لم يستسلم، ولم ييأس وأدرك أنه إذا كان قد يئس من الإقليم الشرقي فان الإقليم الفرنسي يشكل بالعكس ملاذا بالدرجة الأولى، وهنا رتب الأمير مناورة غاية في الدهاء إذ اتجه مع آخر جنوده إلى الغرب مما حمل الفرنسيين على ملاحقته حتى الحدود متسببا بذلك في قيام حروب بين المغرب و فرنسا[48].

ولما حل بالمغرب شرع في إعادة تنظيم قواته ومد مقاومته التي بقيت قائمة في العديد من المناطق ،وقد استطاع أن يحرز انتصارا على كافيناك بسيدي إبراهيم في سبتمبر1845 ،لكن الفرنسيين كانوا في نفس الوقت يركزون قواتهم على المغرب حيث منيت جيوش السلطان بهزيمة مكراء بواقعة أزلي في 06 أغسطس 1844 قصف أسطول دوجو انفيل طنجة فحطم نصفها ،ليحتل بعد ذلك جزيرة ماغادور مما أدى بالمغرب على التوقيع على معاهدة طنجة مع فرنسا يوم 10 سبتمبر 1844، و كان مولاي عبد الرحمان بالإضافة على انه لم يكن في نية استئناف القتال كان كذلك مكبلا بمعاهدة طانجة فاضطر إلى إخطار الأمير بمغادرة دولته و الاتجاه ثانية إلى الجنوب ، وقد حاول هذا الأخير مباغتة الحامية المغربية لكنه صد عن ذلك، وبعد تضحيات جسام في الأرواح، و العتاد وتحت نيران الخيالة اتجه عن طريق مولاي إلى التراب الجزائري حيث كان لاموريسيار يترصده ،و سرعان ما تم حصاره فتشتت دائرته التي كانت في البداية تتألف من أربعة ألاف جندي ،ولم يبق معه سوى عدد قليل من المخلصين والموالين له، ولقد كان بإمكانه الفرار لكن لم يرد التضحية بمن بقي معه ،و استسلم يوم 13ديسمبر1847 بالقرب من نفس الضريح لسيدي إبراهيم حيث أحرز انتصارا باهرا منذ سنتين[49].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

ونشير إلى أن الأمير أوفد في شهر نوفمبر 1847 مساعده محمد بوحميدي الحاكم السابق لتلمسان إلى سلطان المغرب للأخذ بيده، وبهذه المناسبة نظم الأمير أبياتا شعرية يبدي فيها شعوره بالحصرة منها:

قلدت يوم البين جيد مودعي
دورا نظمت عقودها من أدمعي
و حدا بهم حادي المطايا فلم أجد
قلبي و لا جلدي ولا صبري معي
ودعتهم ثم إنثنيت بحصرة
تركت معالم معهدي كالبلقعي

ونظرا لما كان يحصل عليه الأمير عبد القادر من المغاربة من مساعدة ومد يد العون للقضاء على الفرنسيين، إلا أن التهديدات التي كانت من طرف فرنسا تعززت كذلك بدعم بريطانيا وتواطأت مع فرنسا بإصدار ظهير يمنع المغاربة من إقامة أية علاقات مع الجزائريين ، هذا دفع السلطات المغربية إلى الاستيلاء على شحنات الأسلحة الموجهة إلى الأمير عبد القادر خاصة في صيف وخريف1842م، وهذه الإجراءات كان لها وقع سيء على سير المقاومة وفي نفس الأمير الذي لا يمكنه الاستغناء على المغرب لأنه يعتبر جسرا لعبور الأسلحة[50]. هذه الإجراءات المتخذة من طرف سلطان المغرب تحت الضغوطات الفرنسية أدت إلى إضعاف الأمير عبد القادر و مقاومته هذا ما جعله يترك الأراضي المغربية ويقوم بتسليم نفسه للفرنسيين بشرط السماح له بالسفر إلى الإسكندرية أو عكا، فوافق الجنرال على ذلك وتم نقل الأمير من قرب الحدود المغربية أين سلم نفسه نحو سفينة لتنقله إلى طولون ومن هناك إلى عكا أو الإسكندرية ، غير أنّ الحكومة الفرنسية لم تف بوعدها وقامت بأسر الأمير في قلعة باو ثم نقل إلى قصر قديم في مدينة لمبواز[51].

3.4 الاستعمار دورة حضارية مفرغة بالجزائر:

يقول كاتب ياسين كان العدو يدعى بأن الجزائر في الواقع لم توجد أبدا، وإن وجدت فإنما لتخضع لقوة أجنبية الواحدة تلو الأخرى، و يعتبر هذا الطرح سياسة متعمدة لتبرير سياسة الفراغ الحضاري في الجزائر ،و التي سايرها شارل أندري جوليان على ما يبدو لكنه يرد على

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

التاريخ بالتاريخ قائلا: "إذا كان علينا أن نحكم على بلاد بعدد القارات التي صدتها فان فرنسا ذاتها عرفت العشرات منها لن تنجو من هذا الحكم"[52].

إنّ الجزائر كدولة عرفت النظام العثماني الذي استنكره كاتب ياسين نظرا لمساوئه غير أن الوطنية المسلمة المستمدة من الإسلام ذو البناء الفلسفي و الاجتماعي و القانوني وحتى التشكيلي استطاعت المواجهة بمثله في شخص الأمير عبد القادر، الذي كان باستطاعته إقامة نظام عام لولا دخول الاحتلال الفرنسي و إيقافه لعجلة الحضارة وإدخال الجزائر في دورة حضارية مفرغة حيث يقول : "إن كون عبد القادر قد انتخب كسلطان للعرب من طرف كل القبائل تقريبا ليبرهن على وجود رأي عام عربي في ذلك الوقت نعم لولا العدوان الاستعماري أقاضت الجزائر كدولة مسلمة لها نظامها الخاص لها حكومتها المركزية وهذه الدولة كانت ستتطور بصورة عادية لتصبح عادية لتصبح أمة عصرية في نفس المرتبة مع مصر هذه الأمة التي انتصرت على قوة استعمارية أكثر شناعة تتمثل في الاستعمار البريطاني".[53] ومن جهة أخرى خيانة الأتراك لأنه يتوقع أصلا أنهم لن يقفوا إلى جانب الأمير عبد القادر، وهذا ما شجع تكالب المعمرين وهو يتفق في هذه النقطة مع محمد الشريف ساحلي دعما للأمير عبد القادر، وأراد كاتب ياسين أن يثبت عبقرية وتحضر الأمير عبد القادر لدحض أكذوبة تخلف الجزائريين

إن دخول المعمرين إلى الجزائر قد أفسد الحياة فيها وأدخل عادات وسلوكات لم تكن أصلا في الحضارة الإسلامية أقل ما قال عنها كاتب ياسين "وعلى الرغم من التقزز الذي نشعر به ونحن نحرك هذا الزبل لابد أن تذكر الوسائل التي كان المحتل يستعملها لضرب الجزائر إن هذه الوسائل و الحمد لله تزيدنا شرفا لأنها تعطي فكرة عن المقاومة الجبارة التي واجهنا بها همجية المستعمر ذاك الذي جاء ليحضرنا، إن الكفاح الذي بدأه عبد القادر متواصل كما كان دائما كذلك منذ قرن "،و في الأخير يتوجه إلى من يسميهم الأصدقاء حتى الفرنسيين للتواصل لأنه يؤمن بأن الشعوب تصبح إخوة عندما يصبحون أحرارا، وهو يذكر الشعب الفرنسي بالمساعدات التي تلقتها من الجزائر في معاركها ومن باريس هو متيقن من وجود آذان صاغية للقضية الجزائرية[54].

5. **الخاتمة:**

يمكن القول أن كاتب ياسين دافع عن صورة الهوية الوطنية عند الأمير عبد القادر ،وحاول إبراز المكانة العالية للأمير عبد القادر في تاريخ الكفاح الجزائري السياسي و الثقافي و الحضاري عبر العصور و ما كان لتلك المكانة من إشعاع ثوري في كافة العالم الإسلامي في

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

مرحلة عاشت فيها الجزائر ذل الانقياد للاحتلال الفرنسي، و فيه ظهر الأمير عبد القادر ممثلا الحضارة الإسلامية متحديا العدو مستنفرا كل الضمائر متنبها إلى أن وسائل الصراع قد تطورت من المغالبة التقليدية إلى إبادة الشعب.

إن الأمير عبد القادر مثال للروح الشعبية ظهر كرجل دولة و محارب قطع كل مظاهر الإمارات التقليدية باعتماده على الطرق العصرية للبيعة و الجيش النظامي، وقد عكست دولته نموذج السلطنة المتحضرة خاصة وأنه أدرك أنّ انهيار الحكم العثماني قد اثر في جهة الساحل التي سرقها الاستعمار، و التي عزم على استرجاعها عن طريق مشروع الوحدة و مواجهة فرنسا عسكريا داحضا الأكاذيب التي خونته و جعلته صديق فرنسا و معاركه شاهدة على ذلك . كما كان متنبها إلى مستجدات الساحة الدولية و الحركات الاستعمارية و أهدافها الرامية إلى تكريس الفراغ الحضاري لتحقيق سياسة الملء الحضاري ،فكان بحق شخصية عبقرية ورائدا للجزائر المعاصرة و رائدا للصمود في وجه الاستعمار الفرنسي بهويته العربية الإسلامية الجزائرية مؤكدا عليها حتى وفاته .

6- الحواشي:

[1]- بن جبور محمد: الاحتلال الفرنسي ومقاومة الأمير عبد القادر 1830-1847، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2012-2013، ص42.

[2]- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية،1830 -1900 ،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص23.

[3]-نصر الدين سعيدوني،عصر الأمير عبد القادر الجزائري، 2000م، ص 125.

[4]-مذكرات أحمد باي،باريس، 1971م،ص 11.

[5]- نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 126.

[6] Revue Africaine, Paris.1930، 231-230 p p.

[7]- كريمة حرشوش: جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر من خلال أدبياتهم (1832-1847م) ، رسالة ماجستير، معهد العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران السّانيا،د-ت ، ص28.

[8]- محمد بن جبور: المرجع السابق، ص 64.

[9]- إبراهيم مياسي:مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، دار غرناطة، الجزائر، 2013، ص 49.

[10]- شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، تروتح أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية، 1974ص 56.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[11]- عبد القادر سلاماني: "بيعة الأمير عبد القادر حيثياتها ومرجعياتها القانونية و الشرعية"، مجلة الشهاب، مجلد 4، ع2، جامعة الوادي،جوان 2018، ص 292.

[12]- سامية أبو عمران:" الأمير عبد القادر الجزائري رمز المقاومة الجزائرية"، مجلة المصادر، ع 11، 2005، ص ص 73-76.

[13]-عبد القادر المليق: "سلوكيات و أخلاقيات الأمير عبد القادر الجزائري وجنده في الحرب معاملة أسرى الحرب من الفرنسيين أنموذجا"، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، المجلد9، ع 1، 2019، ص ص150-151.

[14] -Le Veuillot : les français en Algérie ; ;1860 ;p 289.

[15]- يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 472.

[16]- عبد القادر المليق: المرجع السابق، ص 155.

[17] -L.Roches : Dix ans a' trevers.l'islam.librairie académique Perrin ; 1904 ; p 72.

[18]- عبد القادر المليق: المرجع السابق، ص156.

[19]- محمود بوعياد:" عبد القادر الإنسان"، مجلة الثقافة، عدد خاص، السنة 13، ع 75، جوان 1983، ص ص 279-281.

[20]- مصطفى أوشاطر:"شخصية الأمير عبد القادر الأسطورية في المخيال الشعبي الجزائري"، بحوث سيميائية، المجلد7 العدد12، 2017 ،264.

[21]- نفسه: 266.

[22]-Alfred .Boissenot : l'islam et la guerre d' Algérie ; C.E.L.Editeur ;1977 ;p p 67-68.

[23]- عبد القادر المليق: المرجع السابق، ص ص157-158.

[24]-يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1999، ص ص 239-240.

[25]- عبد القادر المليق: المرجع السابق ،ص ص 159-160.

[26]- يوسف مناصرية: مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب 1832-1847، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 29.

[27]- R.Aron : les origines de la guerre d' Algérie. Fayard. Textes et documents contemporaine. 1962 ;p 34.

[28]- عبد القادر المليق: المرجع السابق، ص164.

[29] - Le Veuillot : op.cit ; p 289.

[30]- محمود بوعياد :المرجع السابق، ص 282.

[31]- نفسه، ص 283.

[32] -Géant Claude vatine : l'Algérie politique histoire et société، presse de la fondation national des sciences politiques paris 1983 p139.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[33] عبد السلام فيلالي : الجزائر الدولة والمجتمع، دار الوسام العربي 2013، ص 122

[34]- نفسه ص 123.

[35]- رابح لونيسي :التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة ،كوكب العلوم ، الجزائر ،2009 ،ص 378.

[36]- كاتب ياسين : "**الأمير** عبد القادر و استقلال الجزائر"،ترجمة محمد هناد ،الثقافة العدد 75 السنة 13 ماي جوان 1983 ص 189 لمحاضرة ألقيت في باريس سنة 1947 و عمره لا يتجاوز 17 سنة.

[37]- نفسه ص 175.

[38]- نفسه ص 176.

[39]- نفسه ص 177.

[40]- نفسه ص 178.

[41]- نفسه ص 179.

[42]- نفسه ص 180.

[43]- نفسه ص 181.

[44]- ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة و المعاصرة، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص ص 235-238.

[45]-نفسه ص 183.

[46]- محمد بن جبور: المرجع السابق، ص ص 173-174.

[47]- نفسه ص 184.

[48]- نفسه ص185،أنظر : Camille rousset :conquête de l'Algérie 1841-1857.Librairie Plon .paris. pp 49-51.

[49]- نفسه ص 186.

[50]- إسماعيل العربي: العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 239.

[51]- بشرى خير بك: "دراسة لبعض مغالطات المصادر التاريخية و تناقضاتها تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر"، أنموذجا للدراسة، مجلة الدراسات التاريخية، ع 117-118، جامعة دمشق، كانون الثاني، حزيران، 2013، ص 427.

[52]- نفسه ص 187.

[53]- نفسه ص 190.

[54]- نفسه ص 191.